قاعدة إطلاق اللفظ على الظاهر ودلالاتها عند الإمام الهرري في تفسيره حدائق الروح والريحان

qaeidat allafz ealaa alzaahir wadilalatiha eind alamam alhirri fi tafsirih hadayiq alruwh walrayhan

منتظر وديع رشيد الهيتي

المدرس الدكتور في قسم علوم القران والتربية الإسلامية

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الأنبار- العراق -

ed.muntazer.wadiha@uoanbar.edu.iq

عبد القادر عبد اللطيف القيسي

الأستاذ الدكتور في قسم علوم القران والتربية الإسلامية

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة الأنبار - العراق -

ed.abdulqader.alqaisi@uoanbar.edu.iq

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الملهم للصواب، والصلاة والسلام على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله وصحبه ما ضل مجتهد فأخطأ أو أصاب، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وارزقنا علماً خالصاً لوجهك يا ربنا.

أما بعد؛ فقد أرسل المولى سبحانه رسوله بالهدى ودين الحق، وأنزل عليه القران مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، ليدبروا آياته، وليتذكر أولوا الألباب، فهو المعجزة الخالدة، حيث أذعن البلغاء لبلاغته وركن الحكماء إلى حكمته، وأدهشت علماء التشريع أحكامه، ما أقبلت أمة تلاوة وعملاً فذلت، ولا أدبرت عنه أمة فعزت، قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ ومعلوم أن هناك قواعد لتدبر القران وتفسيره أشار إليها بعض المفسرين هي بمنزلة الأساس للبنيان من خلالها تعرف أصح الأقوال وأولاها بالقرب في تفسير كتاب الله تعالى، حيث اختار الباحثان قاعدة مهمة عند الإمام الهرري (رحمه الله تعالى) في تفسيره حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، وقد ذكرت القاعدة في تفسير الإمام الهرري استنباطاً من خلال الأمثلة التي ذكرها الإمام في تفسيره، وكانت منهجية البحث بذكر القاعدة ومفهومها ثم تأصيل القاعدة بما يضمن في طياته أقوال العلماء وأدلتها من القرآن والسنة، ومن بعد ذلك أوضح الأمثلة التطبيقية ذاكراً قول الإمام الهرري ثم أذكر بعد ذلك نتيجة الدراسة ،وهذا جهد المقل، فما كان في هذا البحث من صواب فمن الله سبحانه وتعالى، وما كان فيه من نقص أو تقصير فمن نفسي وهذه صبغة البشر، فحسبي أني أردت وجه الله في عملي هذا، وبذلت قصارى جهد فيه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾

مشكلة البحث:

تتجلى مشكلة البحث كالآتي :

• أن كثيراً من المفسرين يذكر الأقوال المختلفة في الآية دون ترجيح فيكتفي بعرضها فقط، أو عرض الرآي الذي يراه راجحاً بكثير من الشبهات الأمر الذي جعل التمييز بين الأقوال ودراستها والتعمق فيها ضرورة ملحة، لذا لزم الأمر أَنْ تُدرَسَ كُتُبُ التفسير ويُبَيَّنَ فيها صحة وترجيحات المفسرين أَو خطؤها، وبيان القواعد التي أقام عليها هؤلاء المفسرون ترجيحاتهم .

• لما كان الرجوع إلى النص القرآني يُعَدُّ من القواعد المهمة في الترجيح بين الأقوال من خلال السياق القرآني والغالب من أسلوب القران، وغيرها من الأمور المتعلقة بالنص رأيت

من الأَهمية دراسة هذه القاعدة .

أسباب اختيار البحث :

• الرغبة الملحة في قراءة هذا التفسير الضخم المبسوط في حجمه .

• أهمية قواعد الترجيح في استنباط معاني القرآن، وفهمها على الوجه الصحيح، وضبط التفسير بقواعده الصحيحة لاسيما المتعلقة بالنص القرآني، موضع عناية البحث .

• ما يورثه التعامل مع قواعِدِ الترجيح من ملكة علمية، وفائدة عظيمة تعين على فهم القران، ومعرفة تفسيره .

• بيان مدى إنزال الإمامِ الهرري قواعد الترجيح المتعلقة بالنص منزلتها بين القواعد .

أهداف البحث:

• معرفة هذه القاعدة من أهم قواعد الترجيح المتعلقة بالنص في تفسير الإمامِ الهرري .

• بيان مدى عناية الإمام بهذه القاعدة وعدها من قواعد الترجيح المتعلقة بالنص

• التعرف على منهج الإمامِ في الترجيح وموقفه من الأَقوالِ .

الدراسات التي سبقت:

بحثتُ عن الدراسات التي سبقت وكان من أهمها ما يأَتي.

• دراسات في قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني في ضوء ترجيحات الرازي دراسة نظرية تطبيقية، تأليف د. عبد الله عبد الرحمن بن سليمان الرومي .

• قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية المؤلف د. حسين الحربي.

• قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير دراسة تأصيلية تطبيقية، إعداد الدكتورة عبير بنت عبد الله النعيم .

• قواعد الترجيح في تفسير ابن تيمية دراسة تطبيقية رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص الدكتوراه في التفسير وعلوم القران الطالب عبد الرزاق محمد حسن

• قواعد التفسير جمعاً ودراسة، للدكتور خالد بن عثمان السبت .

منهج البحث:

تتبع الباحث المنهج الاستنباطي الموصول بالتحليل في استقصاء كل القواعد المتعلقة بالنص القرآني وبيان الراجح من هذه القاعدة التي تندرج تحت هذه القواعد والتي نص عليها الإمامُ الهرري في تفسيره حدائق الروح والريحان في روابي علوم القران للوصولِ الى نتيجة الدراسة وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسَّم الى مقدمة وثلاثة مباحث:

أما المقدمة فقد تضمنت أَدبيات البحث العلمي وهي : مشكلة البحث، وأَهميته

البحث واسباب اختياره والدراسات السابقة والمنهجية المتبعة.

ذكرت في المبحث الأول : توضيح القاعدة: أُعرَفَّ بالقاعدة تعريفاً جامعاً مانعاً من كتب أئمة التفسير وكذلك من كتب علوم القران وكتب اللغة والاصلاح بحسب أَلفاظِ القاعدة

أما المبحث الثاني: فقد ذكرت فيه تأصيل القاعدة عند العلماء، أذكر تأصيلاً للقاعدة من كتب التفسير مُعزّزاً ذلك بالأدلة من القران الكريم والسنة النبوية والإجماع وقول الصحابة

وبينت في المبحث الثالث: الأمثلة التطبيقية على هذه القاعدة: أبين وأَقوالِ الامام الهرري رحمه الله في القاعدة من خلال الأَمثلة التطبيقية التي عرضها الإمامُ في تفسيره مُبيّناً نتيجة الدراسة التي توصَّلتُ إليها:

وختمت البحث بالخاتمة: وبيّنتُ فيها أهم النتائج التي توصَّلتُ إليها من خلال كتابتي للبحث .

* * *

المبحث الأول
توضيح القاعدة

قاعدة : الأصل إطلاق اللفظ على ظاهره[١] ما لم يرد دليل[٢]يصرفه عن ذلك

إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله تعالى وكان خلافهم دائراً بين موعد التقديم والتأخير في الآية فَالأُولى أَنَّ الأصل في الكلام مَن قال بالترتيب، ولا يستقل على الأَصل إلا بدليل واضح وقرينة بينة[٣].

وكذلك الأصل في نصوص القرآن أَنْ تُحمَلَ على ظواهرها، وتُغَيّر بحسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ، ولا يجوز أن يعدل بألفاظ الوحي عن ظاهرها إلا بدليل واضح يجب الرجوع إليه [٤].

---

(١) الظاهر في الاصطلاح: هو اسم لكلام ظهر المراد منه للسامع بالصيغة نفسها، ويكون محتملاً للتأويل والتخصيص، وقيل : ما ظهر المراد منه للسامع بالكلام نفسه، كقوله تعالى: (واحل الله البيع وحرم الربا)، وقوله تعالى:(فانكحوا ما طاب لكم)، وضده : الخفي وهو ما لا ينال المراد إلا بالطلب كقوله تعال:(وحرم الربا)، ينظر: التعريفات، للجرجاني :١٤٣/١، التعريفات الفقهية :١٣٩/١ .

(٢) الدليل في الاصطلاح : ما يلزم من العلم به العلم بشيء أخر، وعرفه الإمام الأمدي قائلاً : هو ما يمكن التوصل به إلى العلم بمطلوب خبري، وهو مقسم إلى عقلي محض وسمعي محض، ينظر : الحدود الأنيقة :٨٠/١، والتعريفات الفقهية : ٩٦/١، والإحكام للآمدي:٢٨/١

(٣) ينظر: دراسات ترجيحات الشيخ الشنقيطي ،٣٩/١ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح المتعلقة بالنص، الدكتورة عبير بنت النعيم : ١٩٩/١ .

المبحث الثاني
تأصيل القاعدة

وأنَّ إطلاق اللفظ على حاله، أي :ظاهره، فهو إضافة ؛لأنه يشمل كل ما ذكره، إلا أنهُ يقيَّد في تأصيل مفهوم عظيم، وهو إنَّ ذكره تعالى أعلى من كل شيء، بل هو غاية كل عمل صالح[١]، قال تعالى :﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٢].

ذكر ابن القيم (رحمه الله) في ترجيحاته بخصوص هذه القاعدة، قائلاً في قوله تعالى :﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[٣]، في هذه الآيتين أمرين هما طهارة الثوب حقيقة وحمل الرجز على حقيقته، ومن معاني الرجز المعاصي، وأنّ الأصل في المعنى أن يحمل اللفظ على ظاهره في اللغة، والظاهر من لفظ الثياب، هو ما يلبس من الملابس، ومَن قاله بخلاف ذلك فهو مجاز، لا يجوز صرف الكلام إليه إلا بدليل؛ لأنه عدول عن ظاهر اللفظ ولا دليل على ذلك [٤]. وقد ذكرت الدكتورة عبير بنت عبد الله النعيم في أطروحتها أن الدليل إذا وجد جاز صرف اللفظ عن ظاهِرِه، إذ إن الدليل إمَّا أن يكونَ دليلاً عقلياً ظاهراً أو سمعياً ظاهراً، أما الدليل العقلي الظاهر: فهو الذي يعلم به كل المراد، وأن الظاهر غير مراد، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[٥]، يعلم المستمع أنَّ الخالق لا يدخل في هذا العموم، وأما الأدلة السمعية فهي الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعض الظواهر[٦].

وذكر الإمام ابن القيم في كتابه أعلام الموقعين مِن أنَّ قولَكمُ: أنَّ عمرَ كتب إلى شريح أن أقض بما في كتاب الله، فان لم يكن في كتاب الله فبما في سنة رسول الله، فان لم يكن في سنة رسول الله، فبما قضى الصالحون، فهذا من أظهر الحجج عليكم على بطلان التقليد، فإنه أمره يقدم الحكم بالكتاب على ما سواه، فإن لم يجده في الكتاب ووجده في السنة لم يلتفت إلى غيرها فان لم يجده في السنة قضى بما قضى به الصالحون، وهذا الذي ذكره ابن القيم أراد أن يصل ويحذر، قائلا إنّ من الناس استبان لهم في الكتاب والسنة أو قول الصحابة خلاف ذلك لم يلتفتوا إليه ولم يأخذوا شيئاً منه إلا بقول من قلدوه، وإذا جاء النص وكان دالاً وظاهراً منه يسقط الاستشهاد ولا يعتد به، إذ لا اجتهاد مع النص، وهذا ما أقره السلف، فإن وجد النص سواء كان من الكتاب أو السنة فلا وجود إلى الاجتهاد ؛ لكون النص أصبح ظاهراً

(١) ينظر : التفسير المأمون على منهج التنزيل : ٦٩٢/٥ .
(٢) سورة العنكبوت، من الآية :(٤٥) .
(٣) سورة المدثر، الآية: (٥) .
(٤) ينظر : اختيارات ابن القيم : ٨٦/١ .
(٥) سورة الزمر، الآية : (٦٢) .
(٦) ينظر : قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور، الدكتورة عبير بنت النعيم : ٢٠٠/١

ولا خلاف في ذلك والله أعلم[١].

وأقرّ الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى على ما قاله الإمام احمد (رحمه لله تعالى) من ذكره الآيات التي يقال بينها معارضة وبيان الجمع بينها، وان كان فيه مخالفة لما يظهر من أحد الآيتين أو حمل أحدهما على المجاز، وكلامه في هذا أكثر من كلام غيره من الأئمة المشهورين، وجاز اتفاق المفسرين على أن تفسير أحد الآيتين بظاهر الأخرى، ويصرف الكلام عن ظاهره ؛ لأنه لا يجوز صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من كتاب الله وسنة رسوله والسابقين عما تقدم، ووضح ذلك في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[٢]، مثل قول النبي ﷺ (إنكم لا تدعون أصَمَّا ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً، إن الذي تدعونه بأقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)[٣]. فأما لفظ القرب فهو مثل لفظ الدنو، وضد القرب البعد، فاللفظ ظاهر في اللغة، فأما أن يحمل عليه على ما يقال: إنه الظاهر الذي دل عليه السياق أو على خلاف الظاهر لدلالة بقية النصوص، وقد روى الطبراني وغيره أنهم سألوا النبي ﷺ (أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه[٤] فأنزل الله تعالى قوله (وإذا سالك عبادي عني فاني قريب)[٥].

وقال الإمام الرازي في قوله تعالى﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[٦]

واعلم أن ظاهر هذا الكلام يقتضي أن الله تعالى أمر السماء والأرض بالإتيان فأطاعا وامتثلا وعند هذا حصل في الآية قولان :

القول الأول : أن تجري هذه الآية على ظاهرها، فتقول :إنَّ الله تعالى أمرهما بالإتيان فأطاعاه، قال القائلون بهذا القول وهذا غير مستبعد، أَلا ترى أن الله تعالى أمر الجبال أن تنطق مع داود عليه السلام، فقال :﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ والله تعالى تجلى للجبل قال: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ والله تعالى أنطق الأيدي والأرجل فقال: (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) وإذا كان كذلك فكيف يستبعد أن يخلق الله في ذات السماء والأرض حياة وعقلا وفهما، ثم يوجه الأمر والتكليف عليهما، ويتأكد هذا الاحتمال بوجوه كان منها..

---

(١) ينظر أعلام الموقعين، ابن القيم : ٢٤٦/٢ .

(٢) سورة البقرة، من الآية :(١٨٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب التكبير إذا علا شرفا، ١٠٩١/٣، برقم (٢٨٣٠)، وفي رواية لمسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، ٢٠٧٧/٤، برقم (٢٧٠٤) .

(٤) أخرجه الطبراني في كتابه، باب تأويل قوله عز وجل {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}: ٢٥/١ برقم (١٠) : إسناده صحيح، ينظر : جامع الأصول ٤٢/٢، برقم (٤٨٨)

(٥) ينظر : مجموع الفتاوى، لابن تيمية الحراني : ٢١،٢٢،٢٣/٦ .

(٦) سورة فصلت، من الآية : (١١) .

إنّ الأصل حمل اللفظ على ظاهره إلا إذا منع منه مانع وها هنا لا مانع فوجب إجراؤُهُ على ظاهره .

القول الثاني : إن قوله تعالى (فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهَاً قالتا أتينا طائعين)، ليس المراد منه توجيه الأمر والتكليف على السموات والأرض، بل المراد منه أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه، كالمأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الأمير المطاع ، واعلم أن هذا عدول على الظاهر، وإنما جاء العدول إذا قام دليل على أنه لا يمكن إجراؤه على ظاهره[١] .

وذكر الإمام الطبري في تفسيره عن هذه القاعدة قائلاً: إن كان البعض الظاهر دالاً على البعض الباطن وكافياً من ذلك، وهذا يدل أنه لا يجوز ترك الظاهر المفهوم من الكلام الباطن إلى باطن ولا دلالة له لابد أن يكون له دلالة، ولا يجوز تركه، مثل قوله تعالى:﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾[٢] ؛لأن قد أمر الله جل ثناؤه عباده بمسألة المعونة وطلب منه الهداية للصراط المستقيم، وإبدال منه كان معلوماً أن النعمة التي أنعم الله بها على من أمرنا بمسألة الهداية لطريقهم، هو المنهاج القويم والصراط المستقيم، فكان ظاهر ما ظهر من ذلك مع تجاور الكلمتين مغنياً عن تكراره، وكذلك بَيَّنَ ذلك في وصف المؤمنين وصفاتهم والكفار وصفاتهم، إذ بَيَّنَ أنهما صنفان، ووصف الكفار صنفين، فجعل أحدهما مطبوعاً قلبه مختوماً عليه ميؤساً من إيمانه، والآخر: منافقاً يرائي بإظهار الإيمان وستر النفاق في الباطن، فكما قَسَّمَ المؤمنين، قَسَّمَ الكافرين إذ تصل إلى أن هناك ظاهراً دالاً على بعض الباطن، مثل : وصف الإيمان لديهم ولا يجوز إحالة الظاهر إلى باطن من التأويل[٣].

وقد بَيَّنَ الشنقيطي معنى الظاهر بقوله: في كتابِهِ أضواء البيان مُبَيِّنًا الظاهرَ: إنَّ عامَّةَ المسلمينَ لا يجوز لهم العدول عن ظاهر كتاب الله وسنة نبيه محمد r، في حال من الأحوال وبوجه من الوجوه حتى يقوم دليل شرعي صارف عن الظاهر إلى المحتمل المرجوح، والقول بأنَّ العمل بظاهر الكتاب والسنة من أصول الكفر البَتَّةَ عن عالم بكتاب الله وسنة نبيه، وإنما يصدر عمَّن لا علم له بالكتاب والسنة ؛ وذلك لجهله، إذ وَضَّحَ ذلكَ الإمام الشنقيطي في هذا المثال عن هذه القاعدة قائلاً في قوله تعالى ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ ﴾[٤]، فظاهر هذه الآية منحصر بأنَّ الطلاقَ مرتان، ولكن بَيَّنَ ذلك بكون الطلاق مرتين يملك الرجعة لا مطلقاً، والطلاق ثلاثاً لا يحل له إلا بعد زوج آخر، فقال تعالى ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ ﴾[٥]، فيها انصرف

(١) ينظر : مفاتيح الغيب، للرازي: ٥٤٩/٢٧، ٥٥٠ .
(٢) سورة الفاتحة، من الآية :(٧) .
(٣) ينظر :جامع البيان، للطبري : ٧٩/١، ٢٤٧، ٣٧٧/٢ .
(٤) سورة البقرة، من الآية :(٢٢٩) .
(٥) سورة البقرة، من الآية:(٢٣٠) .

معنى ظاهر الآية بدليل قرآني آخر أو يكون صارفاً من السُّنَّةِ [١].

المبحث الثالث
الأمثلة التطبيقية

* * *

سيوضح الباحث ما ذهب إليه الإمام الهرري واستدلالاته على هذه القاعدة في ضوء الأمثلة الآتية .

المثال الأول: مثال غضب الله تعالى ..

قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[٢].

قبل الدخول في توضيح هذا المثال على ما قاله الإمام الهرري لابد من توضيح اختلاف أئمة التفسير في معنى غضب الله تعالى ؟

اختلفوا في معنى الغضب من الله عز وجل، إلى ثلاثة أقوال :

(١) هو إرادة الانتقام من العصاة.

(٢) هو جنس من العقاب يُضادُّ الرضا.

(٣)هو ذم العصاة على قبح أفعالهم.

ولا يلحق غضب الله تعالى العصاة من المؤمنين، بل يلحق الكافرين[٣].

إذ أنَّ غضب الله تعالى يكون على مَن غضب عليه من خلقه، وهو إحلال عقوبته بمَن غضب عليه، إما في دنياه، وإما في آخرته[٤] .

(١) ينظر : أضواء البيان : ٢/٧-٢٩، مختصر البيان في توضيح منهج التفسير: ٤/١ .

(٢) سورة الفاتحة، من الآية : (٧) .

(٣) ينظر : تفسير الكشف والبيان، للثعلبي: ١٢٣/١، ١٢٣/٣ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح، لعبير بنت عبد الله : ٢٠٣/١ .

ومن الأدلة المذكورة عن الغضب من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة هي..

١) قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[١].

٢) قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾[٢].

(٣) قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[٣] عن مالك بن دينار قال: (ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلبه ،وما غضب الله تعالى على قوم إلا نزع منهم الرحمة)[٤].

(٤) قال علي بن أبي طالب «رضي الله عنه»: (أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشنآن الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق، ومن شنأ المنافقين وغضب لله عز وجل غضب الله تعالى له)[٥].

قال الإمام الهرري «رحمه الله» في قوله {غير المغضوب عليهم} بدل من {الذين أنعمت عليهم} بدل كل من كل أي: تقدير الكلام صراط غير اليهود الذين غضبت عليهم وخذلتهم، وانتقمت منهم؛ لقوله تعالى فيهم: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾[٦] وكذلك قيل: غير المغضوب عليهم بالبدعة، ويرى الباحث أن ما ذهب إليه الإمام الهرري يمكن إيجازه بالآتي :

(١) وفقنا إليه طريق الهدى والرشاد التي هي طريق الأنبياء والمؤمنين.

(٢) جنبنا الله عن طريق أهل الغضب والضلال التي هي طريق الكفار والمنافقين.

(٣) ورد في الحديث: أن النبي ﷺ قال: «إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين هم النصارى»[٧].

(٤) إنما سمي كل من اليهود والنصارى بما ذكر، مع أن كلا منهم مغضوب عليه وضال؛ لاختصاص كل منهما بما غلب عليه .

(٣) يمكن أن يقال: المغضوب عليهم العصاة، والضالون الجاهلون بالله؛ لأنَّ المُنعَمَ عليه مَن وُفِّقَ للجمع بين معرفة الحق لذاته، والخير للعمل به، وكان المقابل له من اختل إحدى قُوَّتَيهِ العاقلة والعاملة، والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه؛ لقوله تعالى في القاتل عمدا: {وغضب الله عليه}[٨].

١) وبَيَّنَ لنا الإمام الهرري أنَّ المُنعَمَ عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال، أو صفة

(١) سورة الزخرف، من الآية :(٥٥) .
(٢) سورة المائدة، من الآية :(٦٠) .
(٣) سورة الزمر، من الآية : (٢٢) .
(٤) ينظر : السراج المنير في الإعانة، للخطيب الشربيني : ٤٤١/٣ .
(٥) ينظر : تنبيه الغافلين، السمرقندي : ٨/١ برقم ١٧٤.
(٦) سورة المائدة، من الآية : (٦٠) .
(٧) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب أخباره r عن مناقب الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين)، باب ذكر عَدِيِّ بن حاتم الطائي (رضي الله عنه) : ١٨٤/١٦ , برقم (٧٢٠٦)، إسناده صحيح، ينظر : مجمع الزائد ومنبع الفوائد، ٢١٢/٦ .
(٨) سورة المائدة, من الآية: (٦٠) .

له مبينة، أو مقيدة على معنى: أنهم جمعوا بين نعمتين النعمة المطلقة، وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من الغضب والضلال.

٢) وبَيَّنَ الهرري لنا أيضاً أنَّ الغضب هو ثوران النفس لإرادة الانتقام، ومعنى الغضب في صفة اللّٰه: إرادة العقوبة، فهي صفة ذاته، أو نفس العقوبة.

٣) ثم نقل إلينا الإمام الهرري قول الإمام الزمخشري في تفسيره : إنَّ غضب الله إرادته الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم، وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على مَن تحت يده [١].

نتيجة الدراسة : بعد دراسة هذا المثال المندرج تحت هذه القاعدة تبين للباحث ما يأتي:

١) أطلق على العاصين لدين اللّٰه غير المغضوب وعلى أهل الجهل والكفر (ولا الضالين)، قيل :غير المغضوب هم اليهود، ولا الضالين هم النصارى .

٢) أن اللّٰه سبحانه وتعالى قد خص اليهود بالغضب لكونهم أشد عداوة، ودليل ذلك ما قرأ عمر (رضي الله عنه) في قوله غير المغضوب عليهم وغير الضالين .

٣) إنَّ صفة الغضب لا تجوز على اللّٰه تعالى، لأن أصل الغضب هو الغلظة وأنه نوع من العقوبة سميت غضباً كما سميت نعمه رحمة .

٤) كذلك الحديث الوارد عن عمرو بن شريد، عن أبيه الشريد بن سويد قال: " مر بي رسول اللّٰه ﷺ وأنا جالس هكذا، وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري، واتكأت على آلية يدي فقال: «أتقعد قعدة المغضوب عليهم»[٢].

٥) مذهب أهل السنة والجماعة إثبات الغضب والرحمة وأنهما صفتان قائمتان بالله كسائر الصفات الذاتية والفعلية، ولا يستلزم شيء من ذلك مشابهته للمخلوق ،كما يقول الأشاعرة مثل ذلك في الصفات السبع التي يثبتونها؛ ولذلك يلزمهم أن يقولوا في سائر الصفات التي ينفونها نظير قولهم فيما أثبتوه، والغضب الذي يفسر بأنه غليان دم القلب طلبا للانتقام هو غضب المخلوق، وليس غضب الخالق كغضب المخلوق، وبهذا يتبين أنه لا موجب لتأويل الغضب بالإرادة أو العقوبة. ويلزم المتأول فيما تأوله نظير ما فر منه؛ إذ القول في الإرادة كالقول في الغضب[٣].

٦) نصل إلى نتيجة هي الواجب إثبات الغضب وسائر الصفات على الوجه اللائق بالله،

(١) ينظر : حدائق الروح والريحان، للهرري : ٨٠/١ ٨١ .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التواضع والكبر والعجب، باب ذكر الزجر عن اتكاء المرء على يده اليسرى خلف ظهره في جلوسه : ٤٨٨/١٢، برقم (٥٦٧٤)، إسناده صحيح، ينظر : جامع الأحاديث، للسيوطي : ٣٠٩/١ .

(٣) ينظر: تعليقات الشيخ البراك على المخالفات العقدية في فتح الباري : ٢٩٢/٦، شرح العقيدة الطحاوية، للبراك : ٣٥٣/١.

وعلى الحقيقة من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل [١].

المثال الثاني: مثال الميزان ..

قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[٢].

يرى الباحث أن الإمام الهرري رحمه الله بَيَّنَ المُرادَ بالموازين ولَخَّصَها بنقاطٍ عديدةٍ وكالآتي:

١) نضع الموازين العادلة التي توزن بها صحائف الأعمال، ونحضرها لأجل جزاء يوم القيامةِ.

٢) اللام للتعليل. وقيل: بمعنى في؛ أي: في يوم القيامة.

٣) توزن الأعمال باعتبار التجوهر والتجسُّم.

٤) المراد أو الوزن العدل بينهم، فلا يظلم عباده مثقال ذرة فمَن أحاطت حسناته بسيئاته، ثقلت موازينه؛ أي: ذهبت حسناته بسيئاته، ومَن أحاطت سيئاته بحسناته خَفَّت موازينه؛ أي: ذهبت سيئاته بحسناته.

٥) والموازين: جمع ميزان: والوزن معرفة قدر الشيء، وجمع الموازين باعتبار تعدد الأعمال، أو لأنَّ لكل شخص ميزانا، وأفرد القسط؛ لأنه مصدر وصف به مبالغة كرجل عدل، حيث وصف الموازين بالقسط؛ لأنها قد لا تكون مستقيمة.

٦) ذكر الموازين في بعض المواضع بلفظ الواحد، اعتبارا بالمحاسبة، وفي بعضها بلفظ الجمع اعتبارا بالمحاسبين،

٧) وصف الموازين بذلك؛ لأنَّ الميزان قد يكون مستقيما، وقد يكون غير مستقيم، فَبَيَّنَ الله تعالى أَنَّ تلكَ الموازين تجري على حَدَّ العدلِ[٣].

نتيجة الدراسة:

بعد عرض قول الإمام الهرري في تفسيره توصل الباحث إلى الآتي

١) الأصل إطلاق اللفظ .

٢) أخذ الهرري بهذه القاعدة ،ويمكن ملاحظة ذلك من الأمثلة، إذ أخذ بظاهر اللفظ .

٣) عدم ذكره ما يصرف اللفظ عن ظاهره ؛ لوضوح المراد من الآيات الشريفة في المواضع التي ذكرها .

٤) لم يُفَصِّل الهرري هذه القاعدة، ولم يذكرها، لكنه أخذ بها ضمناً من كلامه الذي فسّر به الآيات المذكورة . وأَرى أنه سبب عدم ذكره لهذه القاعدة صراحةً أَنَّ الإمام الهرري كانت غايته التفسير والبيان أكثر من تأصيل القاعدة وذكرها .

(١) ينظر : التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري، علي الشبل : ٢٣/١ .

(٢) سورة الأنبياء الآية: (٤٧) .

(٣) ينظر : حدائق الروح والريحان، للهرري : ٨١/١ .

الخاتمة

الحمد لله التمام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مسك الختام، وعلى آله وأصحابه نجوم الظلام،

وبعد؛ فما إن انتهيت من كتابة هذا البحث المتواضع تجمعت في ذهني نتائج ألخصها في الآتي:

١) يُعَدُّ كتاب تفسير حدائق الروح والريحان من الكتب المهمة في التفسير من حيث تناوله كثيراً من القواعد التفسيرية والتي توضح دلالات الآيات وتدبرها وفهم معانيها على أدق وجه وأقرب إلى مراد الله تعالى .

٢) أنَّ دراسة مثل هكذا قواعد تؤدي إلى إعطاءِ رصيدٍ علميٍّ غزيرٍ، وكذلك تكسب ملكة واسعة في التعرف والاطلاع على أقوال أئمة التفسير .

٣) أَنَّ الإمام الهرري من الأئمَّةِ الذين كانت له إسهامات واسعة في شتى مجالات العلوم وكان لديه باع طويل في التفسير وغيره .

٤) أَنَّ أساس فهم القران يجب أن يكونَ مبنياً على قواعد تفسيره، لكن لا يكون المعنى المرادُ منها بعيداً عن التأويل ويكون قائلها عُرضةً للنقد، وأقرب إلى وصفه بالتصحُّرِ الفكري .

٥) الأصل في نصوص القرآن أن تُحَملَ على ظواهرها، وتُغَيَّرُ حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ، ولا يجوز أن يعدل بألفاظ الوحي عن ظاهرها إلا بدليل واضح

والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على التمام، والشكر والثناء التَّامَّين على ما يسّرَهُ وأعان، سائلين اللّٰه أن ينفعنا وكل الناظرين فيه بما فيه صواب.

* * *

المصادر

- بعد القرآن الكريم.

١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م عدد الأجزاء: ١٨.

٢) الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤، تحقيق: د. سيد الجميلي، عدد الأجزاء: ٤.

٣) اختيارات ابن القيم وترجيحاته في التفسير من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن الكريم دراسة وموازنة.

٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -بيروت - لبنان ،عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٤.

٦) التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١.

٧) التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٨) تعليقات الشيخ البراك على المخالفات العقدية في فتح الباري، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر البراك، المحقق: عبد الرحمن بن صالح السديس، الناشر: طبعت التعليقات بحاشية (فتح الباري) طبعة دار طيبة .

٩) التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين - الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة - على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر، المؤلف: الأستاذ الدكتور مأمون حموش، المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش، الناشر: (المؤلف)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، عدد الأجزاء: ٨ .

١٠) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٣٣ (٣٢ ومجلد للمقدمة) .

١١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١.

١٢) التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري، المؤلف : علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، تقريظ لكبار العلماء :عبد العزيز بن باز، صالح الفوزان، وهو إكمال لما بدأه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز على الفتح بإشارته ومتابعته ومراجعته وقراءته .

١٣) جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة (مفتي الديار المصرية)، طبع على نفقة: د حسن عباس زكى، عدد الأجزاء: ١٣ .

١٤)جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤.

١٥) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.

١٦) الحدود الانيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، الناشر : درا الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١١، عدد الاجزاء :١ .

١٧) دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان من أول سورة النور إلى آخر سورة المجادلة جمعاً ودراسة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه، إعداد الطالب : عبدالماجد بن محمد ولي بن محمد علي إبراهيم، إشراف : الأستاذ الدكتور محمد محمد زناتي عبدالرحمن، الأستاذ بقسم

القرآن وعلومه ١٤٢٣ه.

١٨) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ، عدد الأجزاء: ٤

١٩) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير دراسة تاصيلية تطبيقية، اعداد الطالب عبير بنت عبد النعيم، تقديم أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، درا التدمرية، الطبعة الاولى ١٤٣٦ ه ٢٠١٥ م .

٢٠) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧ هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، الناشر: دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م ،عدد الأجزاء: ٣٣.

٢١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ، عدد الأجزاء: ١٠.

٢٢) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٣) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دارإحياءالتراث العربي-بيروت، عدد الأجزاء: ٥ .

٢٤) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠.

٢٥) مفاتيح الغيب التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

* * *